

الخصائص العامة لقصور الجنوب الغربي الجزائري

قصور منطقة عين الصفراء أنموذجا

أ. بيدي محمد ، جامعة طاهري محمد بشار

الملخص :

نظرا للموقع الجغرافي لمنطقة عين الصفراء ضمن سلسلة جبال الأطلس الصحراوي وبالضبط بمنطقة جبال القصور فهي تحتوي على مجموعة من القصور تصنف ضمن القصور الصحراوية أو ما يصطلح عليه بالعمارة الصحراوية ، هذه القصور السالفة الذكر تشترك مع القصور الصحراوية عامة في مميزات معمارية وأثرية معينة لكنها تنفرد ببعض الخصائص والتي تخضع لمؤثرات مختلفة بحكم التضاريس الجغرافية وتأثير المناخ والعلاقات الاجتماعية والثقافية التي تحكم المجتمع

Abstract:

Given the geographical location of the region of Ain sefra in the mountain range of the Saharan Atlas and more a accurately mends region Ksours them contains a set Ksours Sahara and has the same characteristic as all Ksours Saharan general way but it has several special feature for its geographical location and climate and also the customs in the region abstract.

مقدمة :

كان لإنتشار الإسلام في بلاد المغرب ودخول سكانه في الإسلام الأثر الأكبر في البناء و التعمير وتنمية الحركة العمرانية والنشاط البشري حتى في أقاصيه الجنوبية وخاصة الجنوب الغربي ولا سيما منطقة عين الصفراء التي نشأت نتيجة الحركة التجارية النشطة التي يعود الفضل فيها للدولة الرستمية (160 هـ - 776 م / 296 هـ - 908 م) ، والتي مهدت الطريق إلى منافذ الغرب الإفريقي والجزء من جنوبه ، فهي تعد الرائدة في تجارة الصحراء عن طريق فتح شبكة من الطرق التجارية وخلق قوافل تجارية كبيرة مما مكن سكان المناطق الصحراوية من البقاء والتطور

المعيشي. ونتيجة لذلك وجدت مراكز عمرانية تميزت بالتفاعل مع الوافدين إلى هذه المناطق ، إضافة إلى الطرق الصوفية التي وجدت في إقليم الجنوب الغربي وسيلة لنشر حركتهم السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية .

- التعريف بمنطقة عين الصفراء:

تقع منطقة عين الصفراء في الجزء الغربي من الجزائر وسط سلسلة جبال القصور أو كما تسمى أيضا منطقة القصور و التي تمتد من مدينة فيجيج بالمملكة المغربية غربا إلى مدينة البيض شرقا ، وهي تكون بعض المرتفعات الصغيرة المتفاوتة في الارتفاع ، وكل مرتفع له تسميته الخاصة به ، أما الجبال بصفة عامة فسميت بجبال القصور لوجود القصور محاذية لهذه الجبال وهي تشكل حاجزا بين الصحراء الصغيرة والصحراء الكبيرة⁽¹⁾ ، و تعتبر الطرف الغربي من جبال الأطلس الصحراوي و تضم :

بني ونيف، مغرار الفوقاني ، مغرار التحتاني(قلعة الشيخ بوعمامة)، صفيصيفة، عين الصفراء، تيوت، عسلة، الشلالة الظهرانية، الشلالة القبليّة، الرباوات(التحتانية و الفوقانية)، بوسمغون و الأبيض سيد الشيخ، سيدي الحاج بن عامر، كريكة، كسال، برزينة، بوعلام⁽²⁾ ويذكر مارتان (Martin)⁽³⁾ أن هذه القصور ثلاثة أنماط ، ويذكر عن النمط الثالث أنه ينسب إليه معظم القصور التي شيدت في بداية القرن 1 هـ / 7 م، أما بالنسبة لتأريخها فإن الباحث يعتمد على ما تقدمه النصوص التاريخية من معلومات ، وإلى هذا النمط تعود قصور القبائل البربرية الزناتية والقصور العربية خاصة بعد دخول بني هلال إلى المنطقة .

في الطريق الرابط بين مدينتي وهران و بشار و على مسافة أربعمئة و خمسين كيلو متر عن المدينة الأولى جنوبا تقع منطقة عين الصفراء، يمر بها الطريق البري و الخط الحديدي الرابط بين المدينتين السابقتين الذكر لوجود فج طبيعي بين الجبال العالية ذات حلقات طويلة باتجاه جنوب غربي و شمال شرقي ، توجد القمم الأكثر ارتفاعا في الجهة الغربية وهي ذات أشكال

غير محددة ، يتجاوز بعضها الألفين متر مثل: بني سمير، أمزي، مير الجبال،مكثر، مرغاد و جبل عيسى، تكسو واجهتها الشمالية غابات كبيرة من أشجار العرعار و البلوط، أما الواجهة الجنوبية فجافة لا تحصل إلا على كمية قليلة من المطار و تكسوها بعض النباتات الجبلية كالحلفاء⁽⁴⁾ .

و يمتد بين الجبال منخفض طولي من الغرب إلى الشرق تنتشر القصور على امتداده و هو عبارة عن حلبة شكلتها الجبال فكونت مقعرا ذات توضعات مختلفة، يغطيه غطاء نباتي حلفي تتخلله نباتات صحراوية مثل : الشيح، الرمث، الدرين و الرتم⁽⁵⁾ .

كانت المنطقة جزءا مما كان يدعى سابقا بالجنوب الوهراني و هي منطقة سهبية صحراوية يعتمد جل سكانها في حياتهم اليومية على تربية الحيوانات و زراعة الحبوب و النشاطان متشابكان و متكاملان بحيث يكون الواحد دعما للآخر، إلا أن تذبذب الأمطار من سنة لأخرى يرغم أغليتهم على الاعتماد على تربية الحيوانات أكثر من الفلاحة، و عموما فان زراعة الحبوب في المغرب العربي عامة و منطقة عين الصفراء خاصة لا تعتمد على الري بل على الأمطار ، مما يؤدي إلى نتائج غير جيدة في الأرياف و البوادي، فهي جهات لتربية الحيوانات حيث يتواجد سكان البدو الرحل الذين لا يستقر لهم قرار إلا بتوفر الماء و الكأ معا لأن المنطقة شحيحة بمياهها، شحيحة بنباتاتها.

و يغطي الصقيع هذه الأراضي شتاء و هو الذي يمنع النباتات من النمو و يسمى محليا بـ:"الجليد" و لذلك يسمى العامة منطقة السهول المرتفعة بـ "خط الجليد" و هي تتميز بظروف مناخية قاسية، و لذلك كسب البدو سكان هذه المنطقة من حياتهم القاسية هذه قوة و شجاعة جعلتهم على أهبة الاستعداد للدفاع عن أراضيهم بصفة دائمة، تلك الأراضي التي هي مستقبلهم، و قد قيل إن التشكيلة الاجتماعية المحكومة بنمط الإنتاج

الزراعي الرعوي تمتاز بتفوق على الصعيد العسكري و ذلك بحكم قدرات الجماعة البشرية على الانتقال (6).

استقر الإنسان القديم بالمنطقة لتوفر المياه من أودية و ينابيع فسكن الكهوف و المغارات ثم بنى تجمعات سكنية بالقرب من تلك الموارد المائية في أماكن حصينة و سجل تاريخه على الصخور فيما يدعى محليا بـ: "الحجرة المكتوبة" إذ رسم حيوانات مختلفة كالغزلان و الفيلة و الأبقار و الزرافات و صور لبعض الصيادين و هم يحملون أدوات الصيد، حين كان الصيد حرفته و حجر الصوان آتته في العصر الحجري الحديث، و في هذا الدور أتقن إنسان المنطقة صناعة الحجارة و تفنن في الاستفادة منها، كما أتقن فن التصوير حين رسم الحيوانات و مناظر الاضطهاد .

الواقع أن هذه الرسومات تعتبر مرحلة أساسية في تطور التعبير الإنساني، تدل على تقدم إنسان المنطقة في عصور ما قبل التاريخ و الذي عبر عن أفكاره بتلك النقوش بالإضافة إلى الحضارة العربية الإسلامية و المتمثلة في القصور الصحراوية المنتشرة في المنطقة بعمارته و تخطيطها المتميزة، فهي صورة حية تعبر عن واقع هذه الحضارة في المنطقة رغم بساطة تكوين هذه القصور التي لا تزال تتصف بالبداوة

تعريف القصر:

القصر لغة هو المنزل ، وقيل كل بيت من حجر قرشية (6). ويسمى قصرا أيضا لأنه تقصر فيه الحرم وتحبس مصداقا لقوله تعالى: (...حور مقصورات في الخيام ...) (7) وجمع قصر قصور وهو ما تبينه الآية الكريمة في قوله تعالى: (...تتخذون من سهولها قصورا...) (8) . وفي قوله عز وجل: (...ويجعل لك قصورا...) (9).

ويعرف أنه ما شيد من المنازل وعلا ومعنى آخر أنه بناية فخمة واسعة (10).

وقد جاءت أيضا عدة آيات قرآنية تصب في هذا المعنى منها قوله تعالى: (...إنها ترمي بشرر كالقصر...) (11). وكذلك في قوله عز وجل: (...وبئر معطلة وقصر مشيد...) (12). كما أنه يقصد بمصطلح القصر مقر الخليفة أو الحاكم وأفراد عائلته (13). أما في بداية العهد الإسلامي وخلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي (2/8 م) فقد أطلق على مصطلح القصر كلمة بلاط (14). ، واستعملت كلمة قصر في بعض المصادر التاريخية للدلالة على التجمعات السكنية الآهلة بالسكان أو هجرت من طرف أصحابها (15).

أما في المناطق الصحراوية يغلب على تسمية مدن الصحراء ومدن الواحات إسم القصر وهو عبارة عن بناء ضخيم محصن له شكل معماري مقيد في هذه المناطق، يكون مرتبط بزراعة النخيل المحيطة به، بني قرب الوادي وتعرف المناطق التي يوجد بها عادة بالواحات وهو لفظ شائع عند سكان الصحراء الذين يسمون مدنها بالقصر (16). وهو مدينة محصنة واحاتها غالبا ما تكون محاطة بأسوار وساحاته تتوفر على مخازن ومتاجر للقبائل الرحل التي تحفظ فيها الحبوب كلما ذهبوا بعيدا بحثا عن الكأل لقطعانهم ومواشيهم (17).

وهو أيضا الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا والذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي وتستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية والعقائدية والاجتماعية والتجارية ووقت الحرب للاحتماء عند هجوم العدو (18)

فالقصر هو الهيكل العمراني لمجموعة من الناس في موقع وموضع يتوفران على متطلبات تلك الفئة البشرية المتجانسة والمتراطة في الدم والعقيدة والثقافة، اجتمعت حول موارد أساسية للقيام بمهمة حضارية متبادلة بين أجناس ليس بالضرورة أن يكونوا من طينة واحدة ولكن لتوسيع المنفعة العامة الشاملة لحياة كلا الطرفين (19).

من هنا يمكن تحديد مصطلح كلمة القصر في الصحراء، بأنه المكان المأهول بالسكان والمبني على هضبات مرتفعة من سطح الأرض، به مجموعة من المساكن والمنازل الموحدة الشكل واللون، محاطة بسور مرتفع تتخلله أبواب فوقها بروج مربعة أو مستديرة على جانبي مدخل القصر، وأحيانا تخلو تماما من مثل هذه العناصر الدفاعية، فهو الهيكل العمراني لمجموعة من الناس تربطهم رابطة الدم والقرابة والعقيدة⁽²⁰⁾.

ويمكن أن نعرف القصر مورفولوجيا على أنه كتلة كثيفة متماسكة ومتجانسة تمتد أفقيا ذات علاقة مباشرة بمساحة خضراء مرتبطة بها هي الواحة، وهو مرتبط بتوفر الموارد المائية كشرط لاستغلال المجال وإقامة البساتين وسقي واحة النخيل⁽²¹⁾.

كما يطلق عليه سكان منطقة القصور اسم أغرم أو أغرمون بصيغة الجمع وهي كلمة شلحية أمازيغية.

المميزات العامة لقصور منطقة عين الصفراء:

تتماز عمارة قصور منطقة عين الصفراء بعدة خصائص ومميزات طبيعية وعمرانية ووظيفية نذكر من بينها على سبيل المثال:

- 1- وقوعها فوق قمم الجبال أو على سفوحها أو على هضبات صخرية صلبة لتسهيل عملية التحصين والدفاع واستغلال المياه وتوزيعها بطريقة مضبوطة ومحكمة.
- 2 -ارتباطها الوثيق بالجانب الفلاحي، فهي تقع بالقرب من المجاري المائية والأراضي الزراعية، فمعظم هذه القصور تحيط بها البساتين والخضراء وواحات النخيل الخلابة، حيث تشكل مصدر رزق السكان وحاجزا منيعا للتقليل من حدة الرياح والعواصف الرملية الموسمية.
- 3 - تحتوي القصور بداخلها على قصبة أو قسبتين محصنة ومسجد جامع يطلق عليه اسم الجامع العتيق أو الجامع الكبير إضافة إلى المساجد المخصصة لأداء الصلوات الخمس في

الأحياء الصغيرة حتى يصبح لكل حي أو قبيلة مسجد خاص بها إضافة إلى المرافق الضرورية مثل السوق والدكاكين والرحبات.

كما تحتوي أيضا على مسجد أو مجرد مساحة فسيحة لاستعمالها عند الضرورة، وكذلك خزانات للمياه وبئر يستخدم عند الحاجة.

ولهذا فإن سكان هذه المناطق ليسوا بحاجة إلى أماكن كبيرة للتخزين بل خصصوا غرفة داخل البيت لهذا الغرض وزودوها بعناصر تفي بالغرض المطلوب مثل القفف والخوابي .

وفي هذا الصدد يقول أيوب عبد الرحمن (23): " هو الفضاء المشترك المغلق والمقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا الذي تخزن فيه مجموعة بشرية ذات المصلحة الواحدة محصولها الزراعي الموسمي وتستعمله في وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية و الطقوسية والاجتماعية و التجارية ووقت الحرب الاجتماعية عند هجوم العدو " .

فالقصر هنا يتشكل من سور فتح به مدخل يسمى "فم القصر"، مدعم ببرج أو برجين للمراقبة يحرسه شخص واحد ويستقر به رفقة عائلته، ويتضاعف عدد الحراس عند الضرورة.

أما من حيث التسمية فيأخذ القصر تسميات متنوعة كأن ينسب إلى اسم الشخص أو الولي الصالح الذي كانت له مكانة علمية في وسط القبيلة التي كان يعيش فيها ، وكان له الفضل في لم شملهم وتعليمهم، أو إلى القبيلة التي تسكن فيه ، وقد يكتسب تسميته من الواجهات الجغرافية التي تحدد موقعه مثل القبلي (الجنوبي)أو الظهراني (الشمالي) ، كما ينسب أحيانا إلى لون مادة بنائه أو إلى المكان الذي يقع فيه ،أو قدمه أو حادثه، أو صغره أو كبره مثل: التحتاني، الفوقاني، القديم، الجديد، الكبير، الصغير...إلخ.

التكوين العمراني العام لقصور منطقة عين الصفراء: يقوم التكوين

العمراني العام لقصور منطقة عين الصفراء على أساس عدة تفاعلات وعوامل اجتماعية

وثقافية ووفق تقاليد حضارية يسير عليها مجتمع القصر مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، مبنية على الحرمة واحترام الآخرين والنظافة والتعاون والتماسك فيما بين السكان مصداقا لقوله تعالى: (... واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا...) (24) ، وقوله تعالى: (...وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ...) (25). لذلك بنيت أحياء وبيوت القصر بشكل التضامن والتراس وكأها كتلة واحدة ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا).

تتكون هذه القصور من الداخل من مجموعات موزعة على كل مساحات القصر، كما يمكن أن تحتوي على مجموعة من القصور المتقاربة ، يشترك أهاليها في الحدائق والغابات المحيطة بها، وتنقسم هذه المجموعات السكنية إلى أحياء أخذت أسماءها من الخصائص الطبيعية لموقعها أو من القبائل التي تقطنها أو إلى الولي الصالح المدفون بها كقصر سيدي بوتخيل بالعين الصفراء وتفصل هذه الأحياء فيما بينها بسور به باب يفتح أوقات السلم ويغلق أوقات الحرب، ويرجع هذا التقسيم إلى الانتماء القبلي لكل مجموعة مثلما عرف في أغلب المدن الإسلامية (26) ، مكونين بذلك وحدة جماعية منبثقة من القصر نفسه ومن المنشآت العمومية كالمسجد الجامع والسوق والشوارع الرئيسية (27).

يحتوي كل حي من الأحياء على مصلى أو مجموعة من المصليات لتأدية الصلوات الخمس، أما المسجد الجامع أو العتيق أو الكبير فتقام فيه صلاة الجمعة والأعياد وهو غالبا ما يكون وسط القصر وذلك لغرض تقريب الجامع من المساكن العامة حتى يسهل على المصلين التوجه إليه من جميع الأطراف، ويربط هذه الأحياء ببعضها البعض مسالك وممرات رئيسية وأخرى ثانوية، وتعتبر الشوارع الرئيسية وسيلة الاتصال من الداخل والخارج وتربطه مع المناطق المجاورة له كالبساتين والمقابر القصور القريبة منه كما يتم عبرها الإتصال بالوحدات الرئيسية للقصر

كالمداخل والرحبات والسوق والمسجد الجامع وكمثال على ذلك نذكر كل من قصري تيوت وصفيفة.

يتوقف تشييد الشوارع على حركة السير حيث يكون مقدارها استيعاب جمل واحد محمل بالأمتعة، كما يركز بها النشاط التجاري مثل المحلات والدكاكين ، تتفرع الشوارع الرئيسية إلى شوارع ثانوية أو فرعية تستعمل للتنقل من الرئيسية إلى الدروب أو الأزقة فهي تكون أقل اتساعا من الأول، أما الأزقة فهي مغلقة في نهايتها وتعتبر ممرات خاصة تخلو من الحركة والنشاط تفتح بها أبواب الدور والمنازل والتي عادة ما تنتمي إلى عائلة واحدة، تنتهي الدروب أحيانا بساحة أو رجة تتوزع حولها البيوت وتعرف باسم العائلة التي تسكن فيها وأحيانا تتخلل هذه الدروب ممرات أكثر ضيقا من الأزقة وتعرف باسم " الدرب " تفتح به أبواب أخرى للمنازل ويعتبر " الدرب " الوحدة العائلية لسماط القصر فيما يمثل الدرب الحد الفاصل للتجمعات العائلية وأحيانا للحي القبلي كله (28) وهذا ما نجده واضحا في قصر مغرار الفوقي .

تتكون معظم قصور منطقة عين الصفراء الستة من طابق واحد أو طابقين حسب الحالة الاجتماعية والمقدرة مالكها، جدرانها الخارجية عالية وذلك لتوفير الظل في الشوارع وتتميز ببساطة تخطيطها، وخلوها من النوافذ الخارجية للحفاظ على حرمة أسرارها وحتى وإن وجدت تفتح في الجزء العلوي للجدران الخارجية.

وزيادة على كل ما ذكرناه هناك أيضا الأسواق التجارية المخصصة لعرض السلع المحلية كانت تقام أسبوعيا خارج الأسوار حفاظا على الحرمة والأسرار ، أما السوق اليومية فكانت خاصة لأصحاب الأحياء ، تعرض بها منتجات الفلاحين و سلع الصناع المحليين يتزود منها سكان القصر بالحاجات الضرورية اليومية لمعيشتهم.

أما الساحة أو ما يعرف بالرحبة أو تاجماعت (29) في بعض القصور فهي تعتبر نقطة التقاء الأزقة وهي الفراغ الذي تنفس منه الأحياء السكنية المتراسة والمتداخلة فيما بينها خلال الممرات وتزود الأزقة والدروب المغطاة بأشعة الشمس وهي أيضا المجال الملائم لكل النشاطات الاجتماعية كالأفراح وإحياء المناسبات المختلفة وحل النزاعات التي تقع بين سكان القصر .

بالنسبة للمرافق العامة فتتمثل على وجه الخصوص في الآبار والمجاري المائية أو ما يسمى "بالعين" و المخصصة لسقي البساتين وواحات النخيل وتزويد أهالي القصر بالمياه اللازمة سواء أكانت مياه صالحة للشرب أو مياه للاستعمال اليومي ، وقد أبدع سكان القصور في كيفية استغلال وتصريف المياه لسقي الحدائق والغابات بحيث كل منطقة وكل قصر تقريبا له طريقته الخاصة في توزيع نظام السقي بطريقة حسابية تقليدية دقيقة مثل الساعة المائية والساعة الشمسية أو الخروبة.

واحتوت بعض القصور على مبان واسعة مزودة بغرفة أو أكثر أو اصطبلات خصصت لاستقبال عابري السبيل وهي بذلك تشبه الفنادق المعروفة بالمدن الإسلامية مع اختلاف كبير في المكونات المعمارية وهي ما يعرف باسم: قصور الوكالات التجارية الصحراوية (30) (ksour caravansérails) ولتوفير الأمن و الإستقرار لسكان القصر يحاط بسور تتخلله أبراج للمراقبة والحراسة الليلية، يختلف عددها من قصر إلى آخر وذلك حسب شكل القصر الذي بني عليه وحجمه من حيث الكبر أو الصغر، وتفتح بالسور مداخل رئيسية تغلق عند الضرورة بأبواب خشبية تصنع غالبا من أشجار النخيل ، ولمزيد من الحماية والتحصين يحفر حوله خندق يملأ عند الضرورة بالماء بواسطة قنوات تحتية بالإضافة إلى كون الأسوار ضرورة عمرانية أساسية فهي تعد رسما حدوديا للفراغ القتال للتعيمير (31)

إشكالية دراسة قصور منطقة عين الصفراء:

إن الدارس والباحث حول القصور الصحراوية عامة وقصور منطقة عين الصفراء موضوع الدراسة خاصة فتواجهه عدة عراقيل ومشاكل أهمها انعدام المعطيات التاريخية من جهة وتعرض هذه القصور للاندثار والهدم والزوال سواء أكان بشريا أو طبيعيا من جهة أخرى مثل ما هو الحال في قصر عسلة وقصر سيدي بوتخيل بالعين الصفراء والذي اندثر كليا وأغلب المعلومات المتوفرة لدينا حول هذه القصور عبارة عن روايات شفوية يغلب عليها الطابع الأسطوري الخيالي فكل واحد ينسب القصر إليه وإلى قبيلته التي ينتمي إليها ■

وبما أن الرحالة والباحثين الأجانب الذين زاروا المنطقة وتعرضوا لوصفها أمثال Daumas⁽³²⁾, Trumelet⁽³³⁾, Berbrugger⁽³⁴⁾ جاءت معلوماتهم سطحية غامضة ، تخدم مصالح استعمارية بحتة حيث ركزت دراستهم على الجوانب الاجتماعية والحياة داخل القصر كالعادات والتقاليد دون التطرق لتاريخ عمارة القصر وعمرانه، فهؤلاء الكتاب كلهم قادة عسكريون وليس كتاب أكاديميون انطلقوا في كتاباتهم من عدة معطيات أهمها:

- كونهم شعبا متحضرا حكموا شعبا متخلفا
 - مسيحيين قبضوا على زمام شعب مسلم
 - الرغبة في التعرف على شعب وقع في قبضة الحضارة الأوربية
 - ظهور فكرة التمايز والتفاضل بين الشعوب الأوربية على الشعوب غير الأوربية و ينادون بضرورة تمدين هذه الأخيرة بواسطة الأولى
 - دافع الدين والمتمثل في الصراع بين المسيحية والدين الإسلامي .
- فهل بناء القصور كان في فترة واحدة وتطور مع وفود عناصر أخرى أم أنه نتيجة لتداخل مجموعة من القصور؟، وهل هذه القصور بنيت لتكون محطة للقوافل التجارية خاصة وأنها تقع على طرق تجارية أم أنها بنيت لحماية القبائل من الغارات والحروب؟.

وبما أن هذه القصور كانت كذلك تحتوي على عناصر معمارية وفنية شبيهة بتلك التي نجدها في العمارة المrabطية ، فهل نأخذ بالروايات الشفوية في تاريخ القصر أم نلجأ إلى محاولة تحليل هذه العناصر التي لها شبيها في العمارة المrabطية ومنها يبدأ البحث العلمي الأكاديمي والدراسة (35).

إن المتفحص للدراسات الوصفية للقصور يلاحظ أن هناك من يطلق اسم المدينة على القصر

وهناك من يحتفظ بمصطلح القصر دون سواه أما في منطقة عين الصفراء فيسمونه (لقصر) (بفتح اللام وسكون القاف) حتى أنهم يسمون ساكن القصر ب: القصورى ، أما مصطلح المدينة فيطلق على المدن الحضرية الحديثة النشأة. ولكن ما يمكن ملاحظته حول القصور الصحراوية هو أن بناء ما يستحيب للشروط الواردة في العديد من المصادر التاريخية والأثرية والجغرافية والتي بموجبها يتم تخطيط المدينة الإسلامية وقد ذكر بن الربيع (36) هذه الشروط فيما يلي :

- 1- سعة المياه المستعذبة وهي أن يسوق إليها المياه الصالحة للشرب حتى يسهل تناوله للأهالي دون مشقة وعناء.
- 2- إمكان الميرة المستمدة: ويتمثل في توفير الغذاء لساكنتها كوقوعها في طرق تجارية هامة أو في محيط صالح يمددها بما تحتاج إليه.
- 3- اعتدال المكان وجودة الهواء: وهو تأكيد على أهمية المحافظة على المناخ ونظافة المحيط والمكان الذي يعيش فيه.
- 4- القرب من المرعى والإحتطاب وهو اختيار المكان القريب الذي يضمن الغذاء للسكان وحيواناتهم واللوازم الضرورية للبناء.
- 5_ تحصين منازلهم من الأعداء وأن يحيط بها سور للأمن ووقاية الأهالي.

وكل هذه الشروط نجدها متوفرة في بناء قصور عين الصفراء حيث توفر المياه على مجاري الوديان ووجود التحصينات وواحات النخيل ووقوعها على محاور طرق تجارية هامة .
كما أن عبد الرحمن بن خلدون ⁽³⁷⁾ يضع هو كذلك شروطاً مماثلة لقيام تخطيط المدن الإسلامية حيث يرى أنه لابد من :

- 1- الحماية من المضار والتي تتمثل في وضع الأسوار والتحصينات ويكون إما على هضبة متوعدة من الجبل وإما باستدارة بحر أو نهر وبذلك يصعب الوصول إليها والنيل منها ومراعاة أيضا الآفات السماوية كطيب الهواء للسلامة من الأمراض وتجنباً للتعفن
- 2- جلب المنافع لها بحيث يجب أن يكون البلد على مجرى مائي كالأنهار والعيون لتسهيل العذبة لتسهيل حاجة الماء على الساكن وطيب المراعي للحيوانات والقرب من المزارع لأن الزرع هو القوت وكلما كان قريباً كان أسهل والقرب من مكان الحطب والبناء وحسن الاختيار الطبيعي كقربها من البحر لتسهيل الحاجات والتنقل والاتصال مع العالم الخارجي أو وضعها في طرق تجارية هامة

وبناءً على ما ذكر فإن الذي يمكن استخلاصه هو أن قصور الجنوب الغربي الجزائري عامة وقصور منطقة عين الصفراء بصفة خاصة خضعت للشروط التي تراعى في تخطيط المدن الإسلامية عامة، فقد روعي في تشييدها عنصر الماء والمكان والأمن والهواء النقي والقرب من الأراضي الزراعية وواحات النخيل الخلابة فهي تتميز بكل سمات القصور الصحراوية عامة ، حيث تقع بالقرب من المجاري المائية ومشيدة فوق مرتفعات ، وأماكن منخفضة تحيط بها سلسلة من الجبال الصخرية ، هذا بالإضافة إلى ما تمتاز به من تخطيط داخلي موحد وملائم يساعد على اعتدال درجة الحرارة وتلطيف الجو داخل القصر وتكسير الرياح .

مراجع البحث وإحالاته:

- 1- Mensier, Territoire Militaire d'Ain sefra *sud Oranais *Exposé de la situation administrative, société et finance de 1906 à 1912, B S G O, géographique et T34, 1914, p 24.
- 2- Comminardi J,F , « Au cœur des monts des ksours ,le ksar de chellala dahrana ,in tradition et modernité », Revue d'Architecture et Urbanisme ,N02 ,Alger ,1995 ,p 45.
- 3- Martin A G P ,La frontière du Maroc , les oasis sahariennes(gourara, Touat , Tidikelt),T1,Imprimerie Algérienn ,Alger ,1908,p25.
- 4- حلبي عبد القادر، جغرافية الجزائر، الجزائر، المطبعة العربية، 1968، ص.53
- 5- خليفي عبد القادر، من الموروث الثقافي الجمعي المغاربي، منطقة عين الصفراء نموذجاً، وهران، دار الأديب للنشر و التوزيع، 2009، ص.09.
- 6- خليفي عبد القادر، المرجع السابق، ص 10.
- 7- ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، ج 6، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، 1992، ص.411.
- 8- الآية 72 من سورة الرحمن.
- 9- الآية 73 من سورة الأعراف.
- 10- الآية 10 من سورة الفرقان.
- 11- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، 1989، ص 990.
- 12- الآية 32 من سورة المرسلات.
- 13- الآية 10 من سورة الفرقان.
- 14- ماجد عبد المنعم، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1963، ص.121
- 15- Sourdel, D , « Art, Ballât, » Encyclopédie de l'Islam, 2eme édition, p 1018-15
- 16- أبو عبد الله محمد الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق محمد حاج صادق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص.175
- 17- Le grande dictionnaire Encyclopédique , Larousse , T7 ,1984,P7905
- 18- Colomieu ,Voyage dans le sahara Algérienne de Géry ville à Ourgla ,le tour du monde ,1863,p162
- 19- أيوب عبد الرحمان، من قصور الجنوب التونسي *القصر القديم* بحث نشر ضمن كتاب النقائش والكتابات في الوطن العربي، تونس، المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1988، ص 15- 20
- 20- Louis A, Habita et habitation autour des ksars de montagnes dans le sud Tunisie, IBLA, N127, 1971, p125
- 21- عقاب محمد الطيب، مساكن قصر القنادسة الأثرية، الجزائر، دار الحكمة، 2007، ص 15.
- 22- وسيلة نادية بن ميلود، صيانة وترميم وتأهيل قصور الجنوب الغربي الجزائري، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار والمحيط، جامعة تلمسان، 2010، ص.18

- 23- حملاوي علي ، نماذج من قصور منطقة الأغواط ، دراسة تاريخية وأثرية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغبة ، 2006 ، ص 20.
- 24_ الآية 103 من سورة آل عمران .
- 25_ الآية 02 من سورة المائدة .
- Marçais G,M, « La conception des villes dans L'Islam », revue d'Alger, T2, Alger, 1945, pp526-535- 26
- 27_ حملاوي علي ، المرجع السابق ، ص 25
- 28_ أيوب حملاوي علي ، نفسه ، ص 27 .
- 29- Ben Cherif .S et Kettaf , une oisis entre le présent et le future ,H,T, N2 juin ,1994 -1
 , p 39.
- 30_ عبد الرحمان ، نفس المرجع السابق ، ص 313
- 31_ بيدي محمد ، قصور الوكالات التجارية الصحراوية ، دراسة نموذجية لقصور إقليم توات ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 1997 ، ص 03 .
- 32_ بن يوسف إبراهيم ، إشكالية العمران والمشروع الإسلامي ، الجزائر، مطبعة أبو داود ، 1992 ، ص 84
- 33- Daumas L C ,Le Sahara Algérien ,étude géographique, statistique et historique sur la région sud des établissements Français en Algérie, Fortin Masson et Cie, Paris, Alger,1845 .
- Trumlet Col, Les Français dans le desert,Paris,1886. 34
- Berbugger, « Les Romains dans l'Algérie » revue Africaine N2,1857-1858,pp276-284. 35
- 36- حملاوي علي ، "منهجية البحث حول القصور الصحراوية" ، دراسة نموذجية لقصور منطقة الأغواط ، أعمال الملتقى الوطني الثالث للبحث الأثري والدراسات التاريخية ، المسيلة ، 1995 ، ص ص 82-84
- 36_ بن أبي الربيع ، سلوك المالك في تدبير الممالك على التمام والكمال ، دراسة وتحقيق ناجي التكريتي، بيروت، باريس ، ط 1 ، تراث عويدات ، 1978، ص 152 .
- 37_ ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني، 1959 ، ص 330- 332